من مسرح المعقول

الجدران

للكاتب الأسباني فرناندو أرابال

نقلها عن الانكليزية كمال أبو ديب

الشخصيات :
- الجلادان : لا اعرف اسميهما
- الام : فرانسواز
- الابنان : بنوا ، موريس
- الزوج : جان

(تقع الحادثة في غرفة معتمة جدا . الى اليسار باب يفضي الى الطريق ، في الصدر الباب المؤدي الى غرفة التعذيب . الجدران عارية . طاولة وثلاثة كراسي في وسط الغرفة . عتمة . الجلادان يجلسان على كرسيين ، وحدهما . طرق ملحاح على الباب المؤدي الى الطريق . الجو يوحي بأن الجلادين لا يستطيعان سماع أي شيء . يفتح الباب بهدوء ، مصوتا . يطل رأس امرأة ، تجوس الغرفة بعينيها ، وتقرر أن تدخل ، وتصعد الى الجلادين) .

فرانسواز : عما صباحا أيها السيدان... اعذراني ... هل أزعجكما ؟

(الجلادان على صمتهما . كأنما لا شيء يعنيهما) اذا كنت أزعجكما فسوف أمضي . (صمت . يلوح كأن المرأة تستجمع شجاعتها . اخيرا تنطق ، وتبدو الكلمات متلعثمة .) . لقد أتيت لاراكما ، لانني لم أعد أحتمل الامر. القضية تتعلق بزوجي . (بصوت أسيان) الانسان الذي علقت عليه كل آمالي . الواحد الذي أعطيت احلى سني عمري . وأحببت كما لم احلم انني قادرة على أن أحب . (بصوت أكثر هدوءا ونعومة) . اجل ، اجل ، اجل . انه لمذنب .

(فجأة يبدو الاهتمام على الجلادين بما تقوله المرأة . يخرج أحدهما قلما ودفترا) أجل . انه لمذنب . وهو يعيش في شارع العمل ، رقم ١٨ ، واسمه جان لاجين (يدون الجلاد الاسم والعنوان ، ثم يخرج الجلادان من الباب المؤدي الى الطريق . يسمع صوت سيارة تنطلق . تخرج فرانسواز ، ايضا ، من الباب المؤدي الى الطريق) .

صوت فرانسواز : تعالا ايها الطفلان ، تعالا .

صوت بنوا : لا ضوء كافيا هنا .

صوت فرانسواز : بلى ، الغرفة شديدة الحلكة . انها لتخيفني . انما يجب أن ندخل ، يجب أن ننتظر أباكما . (تدخل فرانسواز وولداها : بنوا ، موريس) .

فرانسواز : اجلسا . لا تخافا . (يجلس الثلاثة الى الطاولة) .

فرانسواز : (صوتها ، دائما ، معول) أية لحظات مؤسية نعيش الان ؟ أية ذنوب اقترفناها لتعاقبنا الحياة بهذه القسوة ؟

بنوا : لا تبتئسي يا أم ، لا تبك .

فرانسواز : لا ، يا بني ، أنا لا أبكي . ولن أبكي . سوف أحتمل كل الاخطار التي تحيق بنا . ما أحب الى قلبي ان اراك دائما قلقا علي . انما انظر الى أخيك موريس . انه متوفز ، كما هي حاله دائما .

(موريس ، بشيء من الحزن ، يشيح بنعمد واضح الى الاتجاه الاخر) . انظر اليه . اليوم ، حين أحتاج الى مساعدتكما ، كما لم أحتج اليه ابدا ، ينقلب علي ، مزدريا . أية اساءة قدمت لك في حياتي أيها الولد العاق ؟ حدثني ! قل أي شيء !

بنوا : لا تأبهي له ، ماما . فهو لا يعرف شيئا عن الجميل الذي يدين به الانسان لامه .

فرانسواز : (مخاطبة موريس) . ألا تسمع أخاك ؟ أصغ اليه . لو ان أحدا قال لي مثل هذا الكلام لمت خجلا . أما أنت فلست بخجل . رباه ، أي صليب هذا ؟

بنوا : ماما ، سهلي عليك الامر . ولا تدعيه يزعجك . فهو لن يتفق معك أبدا .

فرانسواز : أنت لا تدرك كل شيء يا بني . حين يغيب والدك ، فهناك موريس . ليس ثمة شيء غير العذاب . لقد كنت أبدا عبدة لهما . انظر الى الحياة الهانئة التي تعيشها النسوة في مثل عمري . يمتعن أنفسهن ليل نهار . يذهبن الى الرقص ، والسينما ، والمقاهي . نسوة كثيرات . انك ما زلت يافعا لتتحقق من ذلك . كنت أستطيع أن أفعل الشيء نفسه . الا انني فضلت أن أهب حياتي لزوجي ولكما ، بصمت ، وتواضع ، غير متوقعة أي ثواب . بل انني كنت أعلم ان أولئك الذين هم أحب الناس الى قلبي ، سوف يقولون عني ما يقوله أخوك الان ، من انني لم أقدم ما فيه الكفاية . أترى يا بني ، كيف كافأوا تضحياتي ؟ انك لترى ذلك . يردون بالشر على الخير دائما .

بنوا : ما أروع طيبتك ، ما أروع طيبتك !

فرانسواز : ولكن ما يجديني أن أعرف ذلك ؟ سيان عندي ، فكل شيء سواء . لم أعد أشعر بالرغبة لان أفعل شيئا . لم أعد آبه لشيء ، وليس لشيء قيمة لدي بعد الان . أود فقط ان اكون طيبة ، وان اضحي نفسي لاجلكما ، غير راجية ثوابا . بل انني لاعلم ان اولئك الذين هم أحب الناس الى قلبي ، أولئك الذين ينبغي أن يشكروا لي عنايتي بهم ، يتجاهلون تضحياتي عامدين . لقد كنت شهيدة لكما طوال حياتي . وسوف أستمر على كوني شهيدة لكما ، حتى يشاء ربي أن يستعيدني اليه .

بنوا : يا أغلى أم !

فرانسواز : أجل ، يا ولدي . انني لاعيش من اجلكما فقط . وكيف لي أن أهتم لاي شيء اخر ؟ الابهة ، الثياب ، الحفلات ، المسرح . لا شيء من ذلك ذو أهمية لدي . لدي شيء واحد أهتم به فقط . انه انتما . وماذا يعني أي شيء اخر ؟

بنوا : (مخاطبا موريس) موريس ، أتسمع ما تقول ماما ؟

فرانسواز : دعه وشأنه يا بني . أتعتقد انني آمل أن يقدر تضحياتي ؟ لا . أنا لا أتوقع شيئا منه . بل انني لاعلم انه قد يظن انني لم أفعل ما فيه الكفاية .

بنوا : (مخاطبا موريس) انك مغفل لا تصلح لشيء .

فرانسواز : (مستثارة) لا تزد الاشياء سوءا لي يا بنوا . لا تبدأ مشاجرة معه . أود أن نعيش في سلام ، وانسجام . مهما حدث فلا أريدكما وأنتما اخوان ، ان تتشاجرا .

بنوا : ما أروع طيبتك يا أم ، ما أروع طيبتك له ، وهو لا يستحقها . لو ألم تسالني أن ادعه وشأنه ، لما عرفت اي شيء افعل به (مخاطبا موريس) موريس ، لك ان تشكر ماما . لانك تستحق ضربا مبرحا .

فرانسواز : لا ، يا بني . لا . لا تضربه . أنا لا أريدك ان تضربه .

حتى لو استحق ذلك . أود ان يخيم السلام والحب على حياتنا . هـذا وحده ما أسألك اياه يا بنوا .

بنـوا : اطمئني . سوف أفعل ما تشائين .

فرانسواز : شكرا لك ، يا ولدي . انك لبلسم عـلى الجراح التي انزلتها الحياة بي . أترى ، لقد وهبني الله ، بفائق عنايته ، ولدا مثلك ، يحنو على الجراح التي تثلم قلبي البائس ، والاحـزان التي ينزلها بي ، وأسفا ، الناس الذين كاشحت من أجلهم كل كفاحي ، زوجي وموريس .

بنوا : (غاضبا) منذ هذه اللحظة لن يكون لاحد أن يجعلك تتألمين.

فرانسواز : لا تغضب يا بني ، ولا تبتئس . لقـد أساءا الي ، وهما يعرفان ذلك . أما نحن فيجب أن نغفر لهما ، وألا نحمل لهما ضغينة . وعلى أية حال ، رغم ان والدك أثم ، أثم اثما فظيعا ، فان عليك ان تحترمه .

بنـوا : أحترمه ؟.. هو ؟..

فرانسواز : أجل يا بني . يجب ان تتغاضى عن كل ما سبب لي مـن حزن . واذا كان ثمة من يجب ألا يغفر له ، فهو أنا . ومع ذلك ترى انني أغفر له . رغم انه جعلني أقاسي كما لم أقاس في حياتي . واذا استطعت ، فسوف ابقى منتظرة اياه بذراعين مفتوحتين . ساكون قادرة علـى غفران أخطائه التي لا تحصى . فقد علمتني الحياة معنى العـذاب منذ ولدت ، ولكنني أحمل هذا الصليب بجلال ، بدافع من حبي لكما .

بنـوا : ماما ، انك لطيبة جدا .

فرانسواز : (في لهجة اكثر اتضاعا) بنوا ، انني لاحاول ان اكونطيبة.

بنـوا : (مقاطعا امه بحركة حنو عفوي) ماما . انك لافضل امرأة فـي الوجود .

فرانسواز : (بانضاع وحياء) لا ، يا بني . لست بأفضل امرأة فـي الوجود . ولا يمكنني ان اطمح الى هذا الادعـاء . فانا لست بذي بال . ثم انني قد أكون اقترفت شيئا من الاثم ، رغم ارادتي بقوة الا افعل ذلك . الا ان ما يبقى هو انني اقترفت بعض الاثم .

بنـوا : (بادانة) لا ، ماما ، أبدا .

فرانسواز : اجل يا بني ، أحيانا . انما يمكنني القول بغبطـة انني ندمت على اثامي دائما . دائما .

بنـوا : انك لقديسة .

فرانسواز : صه . أي حلم يمكن أن يتملكني اكثر من حلم ان اكـون قديسة . انما لا يمكنني ان اكون قديسة . ليكون المرء قديسا يجب انيكون انسانا عظيما . اما انا فلست بذات بال . ببساطة ، انا احاول ان اكـون طيبة . هذا اقصى ما اسعى اليه .

(يفتح الباب المؤدي الى الطريق . يدخل الجلادان حاملين جـان ، زوج فرانسواز ، وقد شد معصماه الى قدميه ، وتدلى مـن عصا غليظـة ، كما تعلق الاسود والنمور المأسورة في افريقيا ، مكمما . يرفع جان رأسه ، ويرمق زوجته فرانسواز بغضب ، بعينين شزراوين . فرانسواز تحدجـه بتنبه وشره . موريس يرقب الموكب بصبر ، بغضب حاد . يعبر الجلادان الغرفة ، دون انيتوقفا. يدخلان جان الى غرفة التعذيب . يختفيالثلاثة) .

موريس : (مخاطبا امه حانقا) ماذا يجري هنـا ؟ ما آخـر الالاعيب القـذرة ؟

بنـوا : (مخاطبا موريس) لا تخاطب ماما بهذه الطريقة .

فرانسواز : دعه يفعل ، يا صغيري . دعه يلحق الاهانة بي . دعـه يعنفني . دعه يعامل أمه كأنها عدو له . دعه يفعل ، يا صغيري . دعه يفعل. فالله سيجزي هذه الفعلة الرديئة .

مـوريس : أوه . هذا اكثر مما يحتمل (غاضبا ، مخاطبا امه) أنت ابلغت عنه .

بنـوا : (متهيئا للانقضاض على اخيه) لقد قلت لك ان تخاطب ماما بتأدب ، هل تفهم ؟ بتأدب .. هل تسمعني ؟

فرانسواز : اتئد ، يا بني ، اتئد . دعه يكن فظا معي . انت تعـلم جيدا انه يغتبط حين يعذبني . وفر له هذه المتعة . هذه هي مهمتي . ان أضحي نفسي من اجله ومن اجلك . ان اعطيكما كل ما تريدان .

بنـوا : لن أدعه يصرخ في وجهك .

فرانسواز : أطعني ، يا صغيري ، أطعني .

بنـوا : لن اطيعك . انت طيبة جدا . وهو يستغل طيبتك .

(موريس يرنو مكتئبا) .

فرانسواز : أتريد انت ، ايضا ، ان تعذبني يا بني ؟ اذا اساء هو الي، فدعه يفعل ، فهذا ما اتوقعه منه . أما انت يا ولدي ، فشيء اخر . عـلى الاقل ، هذا ما ظننته دائما . دعه يعذبني ، اذا كان ذلك بردا وسلامـا لقلبه الآثم .

بنوا : لا ، ابدا . ليس وانا هنا ، على أية حال .

(فرقعة سوط ، ثم صرخات جان ، تكتمها الكمامة . من المؤكد ان الجلادين يجلدانه في غرفة التعذيب . فرانسواز وموريس ينهضان ويذهبان الى باب غرفة التعذيب . تصغي الام ، بتعطش ، متشنجة ، وعيناها شديدتا الاتساع . على وجهها خط يقرب ان يكون ابتسامة . تعلو فرقعة السوط ، لفترة طويلة . جان يئن بصوت عال . أخيـرا تصمت ضربات السوط ، وتأوه جان) .

موريس : (هائجا ، وعلى نحو من البكاء ، مخاطبا امه) انهم يجلدونه بسببك . هذه خطيئتك . أنت وشيت به .

بنـوا : اخرس . (بحدة) لا تأبهي له ، ماما .

فرانسواز : دعه يفعل ، دعه يفعل ، يا بنوا . دعه يلحق الاهانة بي . أعرف جيدا انه ما كان ليتورع عن ضربي لو لم تكن انت هنا . لكنه جبان . وخوفه منك فقط يمنعه من ذلك . لانه قادر تماما على ان يرفع يده ضـد أمه . اني لارى ذلك في عينيه . لقد حاول دائما ان يفعل ذلك .

(انين حاد ، صادر عن جان . صمت . فرانسواز تقطب وجهها فـي شبه ابتسامة . صمت) .

دعنا نذهب ونر بابا المسكين البائس . دعنا نذهب ونره يتألم ، الرجل البائس . ليس ثمة من شك في انهم ينبغي ان يكونوا قد آلموه كثيـرا . (تقطب وجهها . صمت . فرانسواز تقترب من غرفة التعذيب . تفتـح البا بنصف فتحة ، وتقف هناك تتطلع الى الغرفة . تتحدث الى زوجها الذي لا يستطيع ان يراها) ينبغي ان يكونوا قد آلموك كثيرا ، جان . يـا بائسا يا جان . ينبغي ان تكون قد قاسيت كثيرا ، وانهم لماضون في جعلك تقاسي اكثر . يا جاني البائس .

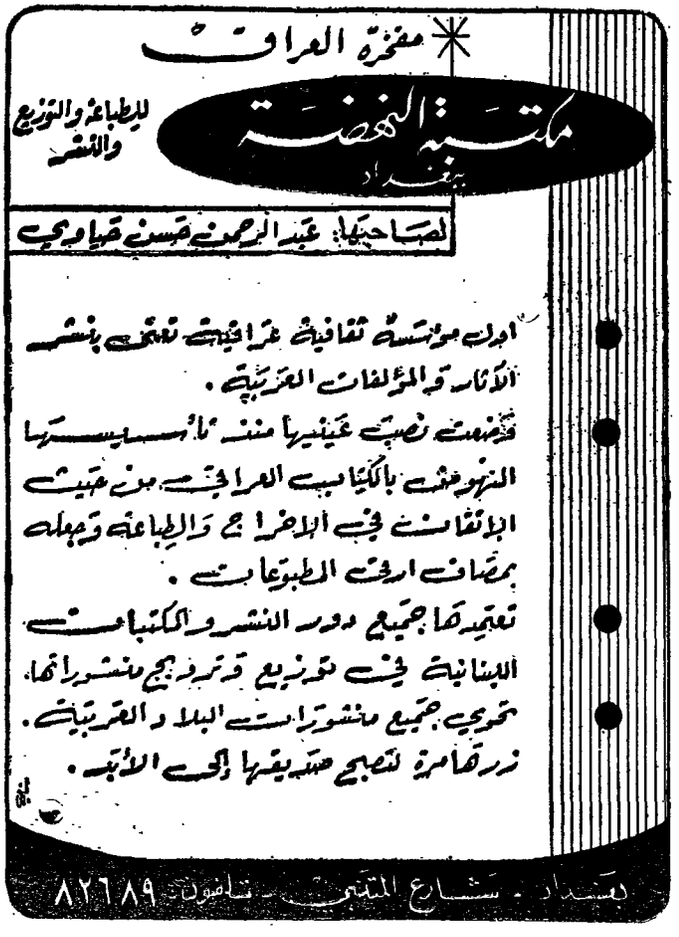

(جان يصرخ في غضب ، رغم الكمامة) .

يجمل بك ان تتحلى بالصبر . وتأكد من انك لم تزل على عتبة عذابك . ليس بامكانك ان تفعل شيئا الان . انك مقيد ، وظهرك ينضح دما . وهذا كله سيجديك جدوى كبيرة . سوف يعلمك أن تتحلى بقوة الارادة . في حياتك لم تكن لديك قوة ارادة .

(تدخل الى الغرفة) .

صوت فرانسواز : (تتكلم بصوت اكثر علوا) أنا الذي وشى بك يا جان . انا الذي قال انك مذنب .

(جان يحاول ان يتكلم ، فلا يصدر عنه اكثر من وعوعة . فرانسواز تضحك بحدة . موريس يبلغ ذروة غضبه . تظهر فرانسواز ثانية على المسرح) .

فرانسواز : (مخاطبة ولديها) الرجل البائس يقاسي كثيرا . انه لا يتمتع بأي قدرة على الصبر . في حياته كلها لم يمتلك القدرة على الصبر . (صرخة من جان) .

موريس : دعي بابا وشأنه . كفي عن هذا كله . ألا ترين انك تعذبينه كثيرا ؟

فرانسواز : هو يعذب نفسه بنفسه . هو وحده ، دونما سبب . (تخاطب زوجها ثانية عبر الباب) انا أرى بوضوح انك انت الذي يعذب نفسه . ارى بوضوح ان ما اقوله يؤلمك . (صمت . تبتسم) من يستطيع ان يولي عذابك عناية اكثر مما افعل ؟ سوف اكون الى جانبك مهما قاسيت . انت مذنب . وعليك ان تتحمل جزاءك بصبر . بل انك ليجب ان تشكر جلاديك، لانهما يبذلان طاقتهما في تعذيبك . لو كنت رجلا عاديا ، متواضعا ، عادلا ، لشكرت جلاديك . ولكنك كنت ثائرا ابدا . لست بحاجة الى الظن انك في البيت الان . حيث كنت تفعل كل ما تشاء . انت الان تحت رحمة جلاديك . تقبل عقابك دون ثورة . انها تطهرك . تب عن ذنوبك . وعد انك لن تقع ثانية في الخطأ . ولا تعذبن نفسك بوهم انني أبتهج لرؤيتك تعاقب وتتعذب . (انين حاد من جان) .

موريس : ألا تسمعينه يئن ؟ ألا ترين انك تعذبينه ؟ دعيه وشأنه .

بنوا : لقد قلت لك ألا تخاطب ماما بهذه الطريقة .

فرانسواز : دعه يخاطبني كيف شاء ، فقد اعتدت ذلك . تلك قسمتي. ان اقلق عليهما ، هو وبابا ، رغم انهما لا يستحقان ذلك . (انين من جان) .

موريس : بابا ! بابا ! (على وشك البكاء) بابا .

فرانسواز : لم يزل يئن . تلك علامة انه لم يزل يقاسي مما جرحه السوط والحبال التي تشد قدميه ويديه . (تفتح درجا من الطاولة ، وتبحث عن شيء فيه . تخرج ما تجده ، وتضعه على الطاولة : زجاجة من الخل ، وبوتقة ملح) هذا كل ما أريده . سوف أضع الخل والملح على جراحه لاعقمها . قليل من الخل والملح على جراحه سوف يفي بالكثير . (بحماسة هستيرية) قليل من الملح والخل . فقط ، قليل جدا على كل جرح . هذا كل ما هو بحاجة اليه .

موريس : (ثائرا) لا تفعلي ذلك .

فرانسواز : أهذه طريقتك في حب والدك ؟ أنت ، ولده الاثير . أهكذا تعامله ؟ انت ، دون كل الناس ، يا ولدا عاقا . انت الذي يعلم ان الجلادين سيجلدانه حتى الموت . أتود أن تتركه الان ، وتريدني ألا أضمد جراحه ؟ (تتجه الى غرفة التعذيب حاملة الخل والملح) .

موريس : لا تضعي الملح عليه . اذا كان لا بد ان يقتلوه ، فدعيه بسلام ، على الاقل . لا تزيدي الله الما .

فرانسواز : ما زلت يافعا جدا ، يا ولدي . انت لا تعرف شيئا عن الحياة . ما زلت غرا . ماذا سيحدث لك من دوني ؟ لقد كانت الحياة سهلة جدا حتى الان بالنسبة لك لانك اعتدت ان تجد امك تعطيك أي شيء تريد . ينبغي أن تتذكر ما اقول فانا أتحدث اما . والام انما تعيش لابنائها. احترم امك . احترمها . ان لم يكن من اجل شيء ، فمن اجل الشعرات البيض التي تكلل جبينها . فكر في ان امك تفعل أي شيء من أجلك بدافع من حنوها . متى رأيت امك ، يا بني ، تفعل اي شيء لنفسها ؟ لقد فكرت دائما بكم . طفلي أولا ، ثم زوجي . انا لست بذات بال لدى أي انسان ، وخصوصا لدى نفسي . لذلك تجدني الان يا بني ، اعني بجروح والدك . يجب ألا تقف في طريقي . ثمة اخرون يودون ان يقبلوا الارض التي أطأ . وانا لا اسألكم ذلك . انما ارجو فقط ان تجدوا في انفسكم الحس بالشكران لجهودي . (تتوقف . تتجه الى باب غرفة التعذيب حاملة الملح والخل) سوف امضي وأضع قليلا من الملح والخل على جروح بابا المسكين . (موريس يقبض على ذراع امه بشراسة ، ويمنعها من الدخول الى الغرفة) .

بنوا : دع ذراع ماما .

فرانسواز : دعه يضربني . هذا ما أراد دائما أن يفعله . انظر الى اثار اصابعه في ذراعي الضعيفة . ذلك ما اراد دائما ان يفعله . ان يضربني .

بنوا : (بغضب حاد) كيف تجرؤ على ضرب ماما ؟ (بنوا يحاول أن يضرب اخاه . فرانسواز ترمي نفسها بين ولديها لتمنعهما من ان يتعاركا) .

فرانسواز : لا ، يا بني . ليس بحضوري . العائلة شيء مقدس . لا اريد لولدي من يتعاركا (بنوا يكبح جماح غضبه بصعوبة) . له أن يسلخني حية اذا شاء . انما ارجوك ، يا ولدي ، لا تضربه بحضوري . لا اريد عراكا بين الاخوة بحضوري . لقد ضربني ، لكنني اصفح عنه .

(صرخة حادة من الزوج) انه يقاسي . انهم يجعلونه يقاسي . انه يقاسي كثيرا . يجب أن أضع بعض الخل عليه بأقصى سرعة ممكنة . في الحال . (تدخل الى غرفة التعذيب) .

صوت فرانسواز : قليل فقط من الملح والخل سوف يفيدك جدا . لا تتحرك . ليس لدي الكثير . ها نحن أولاء ... (جان يئن) هذا هو كل شيء . والان ، هنا ، هنا. قليل من الملح (صرخة غضب من جان) .

موريس : (يصرخ) بابا ! (يبكي) .

صوت فرانسواز : هذا كل شيء . شيء اخر فقط ، قليل هنا . قليل فقط ، زيادة على ذلك . لا تتحرك (فرانسواز تتحدث لاهثة) لا تتحرك . هنا . شيء اخر قليل فقط . (جان يئن) . هذا كل ما لدي . (صمت طويل . جان يصرخ . صمت) حسنا . كيف حال كعبيك ؟ سوف أمسهما لارى كيف حالهما . (صرخة حادة من جان) .

موريس يدخل الغرفة ، منتهزا غفلة من بنوا) .

صوت موريس : ماذا تفعلين ؟ انك تخدشين جراحه . (يدفع أمه خارج الغرفة . بنوا يلقي بنفسه على اخيه . يكاد ان يضربه . تقف الام بينهما ، وتفصلهما) .

فرانسواز : لا ، يا صغيري ، لا . (مخاطبة بنوا) . انك تؤذيني. لا . لا تضرب اخاك . انا لا اريدك ان تضربه (بنوا يستكين) .

بنوا : لن اصبر عليه يضربك .

فرانسواز : أي . دعه يؤذيني . دعه يفعل ، اذا كان ذلك يسره . هذا ما اريده . دعه . يريدني أن أبكي حين يضربني . يا ولدا . لقد طبع اخوك على ذلك . أي شهيدة ؟ أي صليب ؟ لماذا ، رباه ؟ هل استحققت ولدا لا يحبني ، وينتظر دائما لحظة ضعف مني ليضربني ويعذبني ؟!

بنوا : (بشراسة) موريس !

فرانسواز : اتئد يا بني ، اتئد . (مكتئبة) أي صليب ، أي صليب ! رباه ! لماذا تجزيني هذا الجزاء ؟ رباه ! أية فعلة اقترفت لاستحق هذا العقاب ؟ لا تتعاركا ، يا ولدي ، كرمى لامكما البائسة التي لم تعرف لحظة واحدة طعما غير العذاب . كرمى لشعيراتها البيض . (مخاطبة بنوا) ، واذا لم يرحم هو عذابي ، فلا أقل من ان تفعل انت يا بنوا . يجب ان ترحمني وتكف عن تعذيبي . أو انك انت ايضا لا تحبني ؟

(بنوا منفعلا ، يحاول ان يقول شيئا ، لكن امه تمنعه ، وتتابع) ان الامر لكذلك ، أنت ايضا لا تحبني .

بنوا (على وشك من البكاء) اجل ، ماما . انا احبك . احبك .

فرانسواز : حسنا اذن . لماذا تضيف الى اكليل عذابي أشد الاشواك قسوة ؟

بنـــوا : ماما !

فرانسواز : ألا ترى آلامي ؟ ألا تشعر الم أم لا حد له ؟

بنـــوا : (يكاد ان يبكي) أجل .

فرانسواز : شكرا لك يا ولـــــدي . أنت عون شيخوختي . أنت السلوى الفريدة التي وهبني الله اياها في هذه الحياة .

(يسمع الجلادان من جديد وهما يجلـــدان جان . جان ينشج . يصغي الثلاثة بصمت) .

فرانسواز : انهم يجلدونه من جديد ، وينبغي ان يكونوا قد آذوه كثيرا (تتحدث لاهثة) انه يبكي ! انه يبكي ، انه يئن . ألا يفعـــل ؟ (لا يجيب أحد) أجل ، أجل ، انه يئن !.. انه .. يئن .. انني لاسمعه بوضـــوح ...

(فرقعة السوط ، وأنين . يصرخ جان فجأة بحـــدة اكثر علوا . الجلادان يمضيان في جلده . ليس ثمة أنين بعد . فرانسواز تمضـي الى الباب وتنظر الى الغرفة) ..

لقد قتلوه . لقد قتلوه . (صمت مطبق . موريس يجلس مسندا يديه الى الطاولة . ربما كان يبكي . صمت . صمت ثقيل . يدخـــل الجلادان حاملين جان معلقا كما كان . جان ميت . رأسه يتـــدلى هامـــدا) .

فرانسواز : (تخاطب الجلادين) أتركانـــــي أره . اتركاني أره بوضوح . (يعبر الجلادان الغرفة . غير عابئين بفرانسواز . ويخرجان من الباب المؤدي الى الشارع . فرانسواز وبنوا يجلسان ، كل الـــى جنب من موريس . ينظران اليه . صمت) .

مـــوريس : (مخاطبا فرانسواز) لقد قتلوا بابا بسببك .

فرانسواز : كيف تجرؤ ان تقول ذلك لامك ؟ امك التي لم تسبب لك في حياتها أي أذى .

موريس : (مقاطعا امه) اقصري عني كل هذا الفيض . ما اتهمك به هو انك ابلغت عن بابا .

(بنوا يبدو على درجة من الخور ، لا تسمح له بالتدخل) .

فرانسواز : أي ، يا ولدي . لك ما تشاء . اذا كان هذا يمتعـك فسوف أقول انها خطيئتي . أهذا ما تريده ؟

موريس : أوه ! حسبك ايقاعا على هذا الوتر . (سكـــون . صمت طويل) لماذا عاملت بابا بهذه الطريقة ؟ بابا الذي لم يدع لك مجالا للشكوى من أي شيء ابدا ؟

فرانسواز : لقد طفح الكيل ، وها نحن اولاء حيث توقعت . هذا ما توقعته طوال عمري . عنـــدما كان والدك يلطخ مستقبل اولاده وزوجته بسبب من ...

موريس : (مقاطعا) ما كل هذا الهذر عن تلطيخ المستقبل ؟ ما اخر افتراءاتك ؟

فرانسواز : آه ، يا ولدي ! أي بؤس ، وأي صليب ! (سكـون) حقا انه لطخ مستقبل أولاده باخفاقه . لقد عرف بوضوح انه اذا مـــا مضى في طريقه الآثم فانه سوف يقع ان عاجلا او آجلا فيما وقع فيه . لقد عرف ذلك تماما . لكنه أصر على الايغال في اثمه رغم كل ما حدث . كم مرة قلت له : سوف تتركني أرملة ، وتترك طفلي يتيمين . ولكن ماذا فعل ؟ لقد تجاهل نصائحي وأوغل في غيه .

مـــوريس : انك وحدك تجرمينه .

فرانسواز : أوه ، أجل . من الطبيعي ألا تكون قد اكتفيت بأنك اهنتني طوال الليل ، فأنت ترميني بالكذب كذلك ، وتقسم انني اجعل الناس يشهدون زورا . هذه هي الطريقة التي تعامل بها اما ، أما اغدقت عليك عنايتها واهتمامها منذ ولدت . بينما كان والدك يلطخ مستقبلكمـا بسلوكه الشائن . لقد حرصت دائما على اسعادكما ، وكان لي هـدف واحد فقط .. أن أسعدكما . ان امنحكما السعادة كلها . السعـــادة التي لم اذق طعمها في عمري . لانني لم آبه لشيء الا ان تكون انـــت واخوك على ما يرام . وكل ما عدا ذلك كان بلا أية قيمة لدي . انـــا امرأة بائسة ، جاهلة ، أمية . امرأة لا يعنيها شيء الا خير طفليهـــا ، مهما بلغ الثمن .

بنوا : (موفقا بينهما) موريس . ليس ثمة من جدوى في افتعال شجار الان . بابا مات . ولا يمكننا ان نفعل أي شيء الان .

فرانسواز : بنوا على حق .

(صمت طويل) .

موريس : كان بامكاننا ان نمنع موته .

فرانسواز : وكيف ذلك ؟ هل كانت خطيئتي ؟ لا . لقد كان هـو المذنب . هو . ابوك . ما كان بمقدوري ان افعل ؟ ما كان يمكنني أن أفعل لامنعه من ان يكون ما كان ؟ لقد ركب رأسه دائما . وأنا مجـرد امرأة بائسة ، جاهلة ، وأمية . انفقت عمري دون ان افعل شيئا سوى ان اعيش قلقة على الاخرين ، ناسية نفسي . متى رأيتني ابتاع لنفسي ثوبا جميلا ؟ أو أمضي الى السينما ، او ليالي افتتاح العرض ؟ الاشياء التي شغفت بها من قبل . لا ، لم افعل شيئا من ذلك كله ، رغم كـل البهجة التي كنت سأنالها . وكان ذلك لكي انذر نفسي كلها . انـــني لاسأل شيئا واحدا وحسب . ألا تجحداني فضلي ، وأن تقدرا تضحيات أم كالام التي كان من حسن حظكما انها امكما .

بنوا : اجل ، ماما . انني لاقدر كل ما فعلت من اجلنا .

فرانسواز : نعم . اعلم انك « انت » تفعـــل . اما اخوك فلا . لا يبدو كل ذلك ذا قيمة لاخيك . لا يبدو كافيا له . أية سعادة يمكننا ان نعرف لو كنا كلنا على وفاق . لو كنا كلنا في انسجام ؟

بنوا : اجل ، موريس . يجب علينا ان يفهم واحدنا الاخر . وان يحيا ثلاثتنا بسلام . ان ماما لطيفة جدا ، وانا اعلم انها تكن لك حبا عميقا ، وانها ستمنحك كل ما تحتاج ، ولو بدافع من اثرتها ذاتها فقط . عد الينا ثانية . سوف نحيا ثلاثتنا بسعادة وهناءة . وسوف يحـــب واحدنا الاخر .

موريس : لكنما ... (يتوقف) .. بابا ..

(صمت) .

بنوا : هذه حكاية قديمة . لا تنظر الى الخلف . ما يهم هـــو المستقبل . من الغباء ان نتعلق بأذيال الماضي . سوف تنال كل ما تريده مع ماما . كل ما لها سيكون لك . أليس كذلك ، ماما ؟

فرانسواز : بلى ، يا ولـــدي . كل ما لي سيكـون له . انني لاصفح عنه .

بنـــوا : انك لترى ما أطيب ماما . انها لتصفح عنك ايضا .

فرانسواز : اجل . انني لاصفح عنه . وسوف انسى كل اهاناته .

بنـــوا : أتنسى كل شيء ؟ (بمرح) هذا ما يهم . وهكـــذا سيعيش ثلاثتنا معا دون ضغينة . ماما ، وانت ، وأنا . أي شـــيء اروع واحلى ؟

موريس : (نصف مقتنع) اجل .. انما ..

بنـــوا : (مقاطعا) لا ، يجب ألا تكون حقودا . كن مثل ماما . ان لديها من الاسباب ما يجعلها غاضبة منك . لكنها مع ذلك وعـــدت انها ستصفح عنك . سوف نسعد اذا كنت طيبا .

(موريس ، يملأه انفعال عاطفي . يخفض رأسه . صمت طـويل . بنوا يحيط امه بذراعه) . قبل ماما . (صمت) قبل ماما ودع ما مضى يمضي .

(موريس يتقدم من امه ويقبلها) .

فرانسواز : ولدي !

بنـــوا : (مخاطبا موريس) اسأل ماما المغفرة .

موريس : (على وشك من البكاء) اغفري لي ، ماما .

(موريس وفرانسواز يتعانقان . بنوا يشاركهما عناقهما . ويبقى الثلاثة متعانقين بينما ينسدل الستار) .

كمبردج

ترجمة كمـال ابو ديب